

أحمد حسن الباقوري

(من رواد الأزهر في التجديد والإصلاح)

دكتور

السيد محمد الديب

بحث بعنوان «أحمد حسن الباقوري، من رواد الأزهر الشريف في التجديد والإصلاح» والذي سيقدم - بإذن الله تعالى - إلى المؤتمر الثالث الذي سيعقد في العشرين من نوفمبر ٢٠١٢م تحت عنوان «دور الأزهر في النهوض بعلوم اللغة العربية وآدابها والفكر الإسلامي» وذلك بمقر كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقازيق.

أحمد حسن الباقوري

(من رواد الأزهر في التجديد والإصلاح)

عاش الشيخ أحمد حسن الباقوري حياة حافلة بالعمل الجاد، والنشاط البارز والبحث الدعوى، والتأليف المثمر والإرادة القوية والإدارة الناجحة، وجمع بين التوجه السياسي والدعوة الإسلامية التي خطا بها خطوات مثمرة، فضلاً عن كتاباته في الصحف والمجلات، وخطابته في شتى الموضوعات، وحرصه على التيسير في التكاليف الشرعية، ومقاومته للتعصب البغيض، وحماسه لتطوير الأوقاف واستثمار أموالها، وتنشيط الدعوة الإسلامية والتقريب بين المذاهب، وإصلاح الأزهر وتجديده، ونشر المفاهيم التي توصل القيم العليا في الحياة.

والشيخ الباقوري من الأزهريين القلائل الذين شغلوا الحياة السياسية، وشغلوا بها قبل ثورة ١٩٥٢م وبعدها، ولذلك كانت حياته كتاباً مفتوحاً لخصومه ومحبيه، إضافة إلى ما كان يخص به نفسه من حديث وتعريف في الكثير من مقدمات كتبه، ثم أخرج للناس كتاباً حدد فيه ملامح مسيرته مع حركة الإخوان المسلمين منذ تأسيسها عام ١٩٢٧م وحركة طلاب الأزهر الشريف التي بدأت عام ١٩٣٤م وثورة يوليو التي قام بها مجموعة من الضباط الأحرار، وفي التمهيد لهذا الكتاب قال الشيخ رحمه الله : "وليس يفوتني -لله ثم للتاريخ- أنني أسهمت بنصيب مقدور في الحركات الثلاث، إذ كنت مع الإمام الشهيد مريداً من مريديه، أو حواريه منذ بدأ حركته المقدورة، فلا أذكر أنني

تخلّفت عنه في رحلة رحلها من الإسكندرية إلى أسوان، ومن بورسعيد إلى الدار البيضاء أتلقى منه وأخذ عنه.

ولما قامت ثورة الأزهر كنت عنوان الثورة فيها، وكان اسمي في رأس القائمة، التي قرر المجلس الأعلى للأزهر فصل أساتذتها وطلابها وحرمانهم من شرف الانتساب إلى الأزهر الشريف^(١).

أولاً - مسيرة الحياة :

ولد الشيخ أحمد حسن الباقوري في (باقور) التي تبعد عن أسيوط قرابة عشرة أميال في السادسة والعشرين من مايو ١٩٠٩م ولما شب عن الطوق أحقه والده بكتاب القرية، فحفظ نصف القرآن الكريم، قبل الالتحاق بالمعهد الديني في أسيوط.

وأسهمت الأحوال في قرية باقور في تشكيل فكر الشيخ ووجدانه في السنوات الأولى من عمره، إذ كانت كما قال في الحديث عنها: "تمتاز بكثرة السكان الأقباط فيها وبشدة تآلفهم".

وقد انصرف كثير من الناس آنذاك عن تعلم اللغة العربية، ومن هنا كانت الدعوة من أهل الغيرة على الإسلام إلى تحفيظ القرآن الكريم في كتاتيب مختلفة، كانت تقوم بدور كبير في محو أمية كثير من الناس، وإحياء اللغة العربية، ونشر الثقافة الإسلامية.

وحصل على الابتدائية الأزهرية من معهد أسيوط بعد أربع سنوات دراسية عام ١٩٢٦م، بينما كانت الدراسة في الثانوية الأزهرية خمس

(١) بقايا ذكريات للشيخ أحمد حسن الباقوري صـ مركز الأهرام للترجمة والنشر، طبع

عام ١٩٨٨م.

سنوات، لكنه اختصرها إلى اثنتين حصل بعدهما على ماكان يسمى آنذاك بالشهادة الأهلية، وانتقل إلى القاهرة، وانتظم في الدراسة بالقسم العالي في الأزهر الشريف، وأقام في رواق الصعايدة، وحصل على شهادة التخصص في البلاغة والأدب عام ١٩٣٦م، وناقشته لجنة مكونة من كبار العلماء من بينهم الشيخ محمد مصطفى المراغى (شيخ الأزهر) والشيخ إبراهيم حمروش (شيخ كلية اللغة العربية) والشيخ إبراهيم الجبالي (شيخ كلية أصول الدين).

وكانت إقامته في القاهرة عاملاً مهماً في اتصاله بالحياة السياسية، من قبل أن يستكمل تعليمه حيث انتقد مفتى الديار المصرية آنذاك، وأشعل الثورة في النفوس من فوق منبر الأزهر، وانضم إلى الطلاب النافرين على الأوضاع السياسية المتردية، والذين طالبوا بإعادة الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخاً للأزهر، وكان ممن دعوا إلى إبرام معاهدة مع بريطانيا، والمطالبة بالدستور من الملك في وقت واحد، وانبثقت من مجموعة الطلاب لجنة تسمى لجنة الطلبة العليا، ودخل السجن لأول مرة عام ١٩٣٤م، ثم دخله مرة أخرى في عام ١٩٣٨م في تهمة تحريض الطلبة على الإضراب، وكان في أول حياته العملية مدرساً محبوباً من زملائه وزعيماً لهم، كما كان موقراً من شيخ الأزهر وكبار أساتذته، وتزوج عام ١٩٤٠م ابنة عالم جليل هو الشيخ محمد عبد اللطيف دراز، الذي كان وكيلاً للأزهر، ودخل زنازين سجن الأجانب في القاهرة عام ١٩٤٣م ثم نقل منه إلى معتقل (ماقوسة) بمديرية المنيا (آنذاك) وبقي في الاعتقال قرابة عامين، لم يشهد فيها تشييع جثمان والده، ولكنه سمح له بعد فوات الأوان.

وقد انضم في بداية حياته إلى جماعة (الإخوان المسلمين)، وشارك في أنشطتها، وناصر الشيخ حسن البنا وصار عضواً بارزاً ونشطاً في هذه الجماعة، ثم اختلف مع بعض أعضائها بعد مقتل مرشدها العام حسن البنا.

وعين بعد تخرجه مدرساً في الأزهر، متنقلاً بين العديد من معاهده حتى أصبح وكيلاً لمعهد أسيوط، فوكيلاً لعهد القاهرة، ثم شيخاً لمعهد المنيا، ولكن علمه هذا لم يصرفه عن نشاطاته في جماعة الإخوان، أو في الحركات السياسية لطلاب الأزهر، ثم مالبت أن انضم للحركة الوطنية قبل ثورة عام ١٩٥٢م إذ كانت في حاجة لقيادة أزهريّة رشيدة على قمتها أزهري، مثل الشيخ أحمد حسن الباقوري، وكان الشيخ في قمة المسؤولية والولاء للدين والوطن أينما كان، وفي تلك المرحلة التي سبقت الثورة كان صوته عالياً في المطالبة بمجموعة من القضايا السياسية والتعليمية والدينية، إذ كانت خطبه وأحاديثه وكتابات موضوع اهتمام الجماهير والتفافهم حوله.

ثانياً - مع ثورة عام ١٩٥٢م:

بعد أن قامت الثورة اختارت الشيخ وزيراً للأوقاف في السابع من سبتمبر عام ١٩٥٢م، وكان قبوله لهذا المنصب تمهيداً لفصله من جماعة الإخوان المسلمين فبقي ولاؤه للثورة شاغلاً الحيز الأكبر من تفكيره ومطالبه، فكان حريصاً على الكتابة في الصحف وبخاصة الأخبار؛ لشرح منطق الثورة (الوليدة) وفلسفة الحكم، وإصلاح الأزهر والتجديد في حرية العمل بوزارة الأوقاف، واستشعر الناس هذه التوجه وتجاوبوا معه وعبرت عنه مجلة المصور في مقالة الأستاذ طاهر الطناحي جاء

فيها :لقد ابتكر وزير الأوقاف طريقة غير الطريقة التي كانت تسير عليها الوزارة من قبل، وما كادت تمضي عليه مدة وجيزة في وزارة الأوقاف حتى أحدث فيها ثورة إصلاحية، وثورة تجديدية، فقام بتجريبها من الجمود الذي عاشت فيه منذ قامت في هذه البلاد؛ لأنه عدو التزمّت والتعصب والجمود، وألغى الوقف الأهلي، الذي طالماً كان مثار الشكوى الدائمة مما يرتكب فيه من المظالم والآثام.

وقد ابتكر طريقة مشروعة في الأوقاف الخيرية، فأنشأ لها ما لم يكن من قبل من مؤسسات صناعية، وشركات إنتاجية أصبحت مصدراً للرزق الشريف لكثير من الفقراء، ووسيلة كريمة، لتوزيع الخيرات وإعاشة العائلات المحتاجة، وقد فتح بها أبواب العمل للعاطلين المحتاجين الذين يقتلهم الحياء دون الطلب والاستجداء^(١).

وكان حريصاً على الارتفاع بمستوى القائمين بأمر الدعوة، وسعى إلى وضع درجات عالية للدعاة، واسترد الأوقاف الأهلية، وقضى على كثير من النماذج السيئة في علاقة المستأجرين بالأوقاف.

(١) بقايا ذكرى ص ٢٠٢، ٢٠٣.

ثالثاً - مقاومة التعصب الديني:

كان الباقر حريصاً على مقاومة التعصب الديني البغيض، عملاً بقول الله تبارك وتعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١).

وقد اهتم بهذه القضية وبحثها بحثاً يدل على سعة العلم وعمق الفكر وصواب النظر والتأمل، مؤكداً في بقايا ذكرياته "أن على المسلم أن يتعصب لعقيدته بالدعوة إليها، والانتصار لها بشرط ألا يواقع ظلماً في محاربته أصحاب عقيدة دينية يدينون الله عليها، ثم لا يعينون ظالماً لنا على اغتصاب أرضنا، وانتهاك أموالنا"^(٢).

وقرر أن التعصب على وجهين أحدهما التعصب للعقيدة وثانيها التعصب في ظل العقيدة، وأن الأول أمر فطري في الإنسان لاتأباه الشريعة المحمدية السمحة؛ لأن قيام العقيدة في نفس صاحبها يقتضي الانتصار لها، والدفاع عنها، وعن الذين يشاركونه فيها، قال ﷺ «خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأت» صدق رسول الله ﷺ، وأن هذا الإثم بغيض إلى أهل الحق إذ سئل الرسول ﷺ عن موضع الإثم حين سألته سائل: ما العصبية يا رسول الله ؟ فقال له ﷺ ذلك هي أن تعين قومك على ظلم".

(١) الممتحنة آية رقم (٨)

(٢) بقايا ذكريات ص ٢١٠.

وعلى المسلم أن يترك الحرية إلى أصحاب الديانات الأخرى ماداموا لا يعينون ظالماً لنا على اغتصاب أرضنا وانتهاب أموالنا، أما التعصب في ظل العقيدة فهو كما ذكر الشيخ، «أن يحرم المسلم أو الدولة الإسلامية ذا عقيدة دينية حقاً من حقوقه الإنسانية المكفولة له بحكم الشريعة المحمدية السمحاء»، وليس يشك أهل الإنصاف في أن حياة الأقباط في عهد الدولة الإسلامية كانت أدنى إلى السلام والسلامة منها في عهد الدولة الرومية»^(١).

وقد سار الشيخ على منهج واضح استند فيه إلى الاعتدال والتيسير والبعد عن الغلو والإفراط والتشدد، ولا يبالغ في تطويع النص القرآني؛ ليكون مطابقاً أو مفسراً للعلوم العصرية الحديثة ولنظرياتهما المتجددة، ذلك أن الاجتهاد في الربط بين القرآن والظواهر العلمية يخضع كثيراً، حسب وجهة نظره للتخمين أكثر من خضوعه للقواعد الثابتة، وعرض في بيان ذلك لقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^(٢).

وعقب على من قال: إن المراد من السلطان سلطان العلم قائلاً، "ولكن لنسأل أنفسنا أولاً في أي موقع وردت الآية؟ لقد وردت في موقع التعجيز... أي أنكم لن تستطيعوا الهروب من عقاب الله... فرق بين هذا وبين المعنى الذي يراد.. أي عملية تعجيز.

(١) السابق ص ٢١٠

(٢) الرحمن "٣٣"

ثانياً : هل في قوة العلم أن يُخلّص الإنسان من جاذبية السموات والأرض ؟ كيف ؟ لقد وصلوا إلى القمر، ولكن معهم من الأرض طعام، ومعهم لباس، وأكسجين للتنفس.... إذا هم لم يَخَارِقُوا الأرض مع أنهم على القمر.

والقرآن الكريم كتاب علم وتأديب وتربية وتهذيب.... ولا يناقض العلم اليقيني المستقر، غير أن هناك فرقاً بين أن يكون القرآن نظريات علمية، وبين أن يكون غير متناقض مع العلم العملي والواقعي، لقد أشار القرآن إشارات حاولها العلم، ولعله أن ينفع بها" (١) .

وكان الشيخ حريصاً على تأكيد أن القرآن كتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه جاء لتهذيب الإنسان وتعليمه ما يحتاج إليه، فهو ليس مصدراً للعلم العملي، أما الإشارات العامة لقضايا العصر فلم يغفلها القرآن ولا الحديث النبوي؛ لأن الإسلام رسالة سماوية ودين إلهي ومنهج شامل للحياة.

وكان الباقر في حرصه على تجديد الفكر الديني غير متجرد من اجتهادات السابقين، إذ كان مُغْرَماً بكثير من آراء الإمام الجليل ابن تيمية خاصة فيما يتصل بمعرفة سبب نزول الآية أو الآيات، فهذه المعرفة تعين على زيادة الفهم وبيان المراد، إذ كان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب. وقد كان أشكل على بعض السلف فهم آية فلما ذكر ابن عباس له سبب نزولها اتضح المعنى وزال الإشكال" (٢).

(١) شاهد على العصر، عمر بطيشه ص ١١٣ (كتاب اليوم)

(٢) مع القرآن ص ١٥.

وبيان ذلك أن الآية هي قول الله تبارك وتعالى ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

وقد أشكل معناها على (مروان بن الحكم) بعد أن فرغ من قراءتها، وألقى تدبره لمعناها في نفسه شبهة، وذكرها الشيخ الباقرى فقال : "هي أن في طبيعة الناس وفطرتهم أنهم يحبون أن يُحمدوا بما يفعلون وبما لا يفعلون، وما دام الأمر كذلك فإن الناس جميعاً معذبون، لأنهم جميعاً يحبون المدح لهم والثناء عليهم، ثم أوضح ابن عباس أن الآية نزلت في طائفة من اليهود حين سألهم رسول الله ﷺ عن شيء فلم يصارحوه، بل أخبروه بغيره، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه^(٢)، ولم يكن ذلك إلا نموذجاً أو مثلاً لما يمكن أن يختلف الناس في بيان معناه، ومن هنا كانت المرجعية البياتية لأقوال السابقين ممن أخلصوا الاجتهاد في بيان المعنى والمراد من القرآن الكريم.

وبقي الشيخ وزيراً للأوقاف حتى أجبرته الأحوال المحيطة بسندته الحكم آنذاك على الاستقالة في الحادي عشر من نوفمبر عام ألف وتسعمائة وتسعة وخمسين، وبقي في منزله لم يغادره إلا مرة أو مرتين طوال خمس سنين وخمسة أشهر وخمسة أيام، حتى عين مديراً لجامعة الأزهر في السادس عشر من يوليو عام ١٩٦٤م، وبقي في هذا المنصب حتى السادس عشر من سبتمبر عام ١٩٦٩م.

(١) آل عمران ١٨٨.

(٢) مع القرآن ص ١٦.

رابعاً- الوحدة الوطنية:

تعود ذاكرة الباقوري بالحديث عن الوحدة الوطنية إلى ما شاهده في قريته (باقور) من جوانب أعجب بها وأخرى نفر منها، ولا يتسع المقام لبيان الأمرين كما حوتهما ذاكرة الرجل، لكن الموضوع بقي حياً في وجدانه إلى الأيام الأولى من إقامته في رواق الصعايدة في الأزهر الشريف، فقد استمع إلى الطلاب وهم يتحدثون عن ثورة عام ١٩١٩م، ويختصون بالحديث أربعة رجال هم: الشيخ عل سرور الزنكلوني وزميله في منبر الأزهر القمص سرجيوس ثم الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مع زميله في المنبر الشيخ محمود أبو العيون.

واستحضر الباقوري من بقايا ذكرياته أن الشيخ الزنكلوني كان إذا حضر أثناء الثورة ومعه القمص سرجيوس يتلقاهما طلاب الأزهر بنشيد يقولون فيه تأييداً للوحدة الوطنية التي هي حياة مصر :

الشيخُ والقسيسُ قسيسان وإن تشا فقلّهما شيخان

وأذكر من واقع ذاكرتي أيضاً أن رواية هذا الكلام لم تعجب كثيراً من الناس، إذ رأوه من كلام الشيخ الباقوري، أو قالوا عنه ذلك وأن الشيخ قاله بلسانه تملقاً للسلطة في مرحلة لم يبق من شهودها إلا القليلون !! ونعود إلى ذاكرة الباقوري التي فتش فيها عن الشيخين دراز وأبي العيون فتورد أن هذا الثاني كان المقدم في المنبر فإذا اعتقله الإنجليز أو فصله الأزهر قام بعده الشيخ عبد اللطيف دراز ويعلن إلى الجمع أنه خليفة المعتقل العظيم، فيقف على المنبر حيث يشق الهتاف له أجواز الفضاء، ثم يحمد الله ويثني عليه قائلاً: "أحمد الله إليكم الذي

جعلنى خلفاً ينتظر الاعتقال لسلف وقع فسي شركاك الاعتقال فجعلنى
سبحاته أحسن خلف لأحسن سلف، وأمرى وأمركم إلى الله» (١).

وحديث الباقرى عن التمام هذه الوحدة. وتكاملها لم يثنه عن
الإشارة إلى أعدائها وخصومها خاصة بعض المبشرين الذين كانوا
يهاجمون الإسلام ورسوله العظيم، أو من الدعاة للعلمانية.

وكان الباقرى طوال حياته حريصاً على الوحدة الوطنية، معلناً
عن مبادئه الإسلامية في الدعوة إلى الحب والتسامح، رافضاً التعصب
والجهالة.

وكان يزور الكنائس في أيام الآحاد؛ ليخطب في المسيحيين داعياً
إلى الألفة والحب والمودة فوجدت فيه ثورة عام ١٩٥٢م، إماماً لها في
الدعوة الوطنية والتقريب بين المذاهب، ورفض العنف، ومن المفارقات
التي تستحق التنبية والإشادة أنه كان من أقرب المؤيدين للمغفور له
الشيخ حسن البنا، كما كان من أصدق الأصدقاء للكاتب الصحفي موسى
صبرى وكاناً زميلين وصديقين حميمين في معتقل {ماقوسة} وتم الإفراج
عنهما في يوم واحد، كما كان الباقرى أول وزير مصري زار الصين
الشعبية، ووقع اتفاقية تعاون مشترك فضلاً عن زيارته للعديد من الدول
التي يدين معظمها بغير الإسلام وحقق بزياراته للكثير من الدول العديد
من النجاحات، فاستحق أن يكون سفيراً للثورة في كثير من دول العالم.

(١) بتصرف من كتاب بقايا ذكريات ص ٢١.

خامساً- في جامعة الأزهر:

في عهد الشيخ أحمد حسن الباقوري لرئاسة جامعة الأزهر بدأ أولى خطواته باستكمال وتنفيذ إنشاء الكليات العملية الجديدة، متحولاً بالتطوير من النظريات والطموحات المجردة إلى مجال الأفعال الماثلة، كما دعا كبار العلماء والمفكرين من المسلمين وغير المسلمين، لإلقاء المحاضرات العامة في قاعة الإمام الشيخ محمد عبده، ومن هؤلاء الكاردينال كوينج الذي ألقى محاضرة قيمة أثارت انتباه مستمعيه في جامعة الأزهر عام ١٩٦٩م^(١)، وحرص الشيخ على التقريب بين رجال الدين في المسيحية وعلماء الدين في الإسلام مما كان له عظيم الأثر في إنماء الدعوة للحوار بين الأديان، والتقارب بين الهيئة البابوية والهيئات الإسلامية، ولعلنا الآن أشد حاجة من ذي قبل لهذا التقارب، لإعادة النظر في فهم الغرب للإسلام وتقويمهم لمبادئه السمحة الكريمة، وأن السهم التي ألصقت به لا تعبر عن حقيقته، وإنما أنت إليه من خارجه، وممن لا يفهمون جوهره ورسالته في خدمة الإنسان.

إن فلسفة الشيخ الباقوري في إدارة الجامعة وتطويرها كان مختلفاً جداً، لأن اشتغاله بالدين وعمله بالسياسة أكسبه خبرة وعلماً استطاع بهما أن يحقق الكثير والكثير مما أسهم في تحقيق الجامعة لكثير من أهدافها.

(١) أنظر مقدمة كتاب «قطوف من أدب النبوة» للشيخ الباقوري {مدير الجامعة آنذاك}، وأنظر كذلك مقدمة كتاب «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» للعلامة موريس بوكاي.

سادساً- التقريب بين المذاهب:

كان الباقر يميل إلى التيسير في الآراء، والتخفيف في الأحكام، والتقريب بين المذاهب، وتجلى ذلك في أقواله وأفعاله ففي زيارة له إلى إيران اطلع على أمر لم يكن يتوقعه وهو أن الشيعة في جملتهم لا يقيمون صلاة الجمعة، ولكن الشيخ قد دعا لهذه الصلاة وشهد الخطيب وهو ينطق اللغة العربية الفصحى، ثم سأل عن هذا الأمر وعرف أن تعطيل صلاة الجمعة ليس إلا اجتهداً لا يستند إلى نص، وما دامت صلاة الجمعة سبيلاً إلى التقريب بين المذاهب فلا مانع من إقامتها، خاصة أن عرض هذا الأمر كان في بلاد الشيعة الإمامية، وتجلى هذا التقريب في فهم القرآن والسنة وأعلام الصحابة وسائر شؤون الحياة، وقد أشارت بعض آرائه الناس عليه فرأوا فيه شخصاً مارقاً من صفوف الإخوان إلى أضواء السلطة وضربوا به المثل في التفريط والتساهل خاصة ما اتصل بقضايا المرأة وأحوال غير المسلمين والنظام الاجتماعي ولكن لا خلاف على صدق دعوته وإيمانه برأيه، وقوة عزيمته وافتتاحه على كل جديد يرى فيه فائدة ونفعاً للإسلام والمسلمين.

وكان شهر رمضان بالنسبة للباقر موسماً للفكر وزاداً للتقوى وصفاء للروح وإقبالاً شديداً على الله تعالى، وتجلى ذلك في استثمار هذا الشهر في نبذ التشدد مع الحرص على التيسير والتقريب بين الأديان عموماً، والانطلاق إلى التقريب بين المذاهب بما يعود أثره على العلاقة التي تربط بين الشؤون الإسلامية في سائر دول العالم .

وكان منزل الباقر منتدى ثقافياً يرتاده كبار العلماء والمفكرين، الذين يحرصون على حضوره؛ للاستماع لتفسير القرآن الكريم، وعرض

أسباب النزول لآيات الذكر الحكيم، وشرح الأحاديث النبوية الشريفة، والتعرف على النصوص الشعرية، فقد أوتي الشيخ علماً غزيراً وقُدرة على الفصل في القول، مع جمال الأسلوب، وسرد الحكاية البسيطة والطُرفة الخفيفة وترك التكلف، والميل إلى التجديد في العبارة، والاستشهاد بالآية القرآنية حسب الموقف أو المناسبة التي يتطلبها البيان.

ويخفي على كثير من الناس أن الشيخ كان شاعراً فصيحاً وراويّة حافظاً، وأديباً بليغاً، وكاتباً مجيداً يصوغ موعظته بأسلوب البلفاء وفلسفة الحكماء وتذكرة الواعظين، وتجربة الدعاة المتميزين، وكان حريصاً على كثرة النظر في كتب التراث، لما تمثله من علم غزير وفكر مستنير .

وكان المهندس أحمد عبده الشرباصي من جلساء الباقوري فكان يذهب إليه في بيته ويقرأ الشيخ معه كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي وغيره، وغيره من كتب التراث.

سابعاً - مؤلفات الباقوري :

إذا كان العمل السياسي قد شغل الشيخ أحمد حسن الباقوري، فلم يكن حجم كتاباته بقدر جهده وطاقته فإنه ترك عدداً لا بأس به من المؤلفات المتميزة، التي اتخذت من القرآن الكريم والحديث النبوي، وأخبار الصحابة، مادة وموضوعاً لها، وتجلّى فيها التقريب بين الآراء والتيسير في الأحكام والأخذ بالسهل البسيط، وترك الصعب العسير، الذي ينفر الناس في الدين، ولا يدفعهم إلى العمل بما جاء فيه، وهذه بعض

كتبه التي تمثل الجوانب المهمة من فكره وفلسفته في الحياة، وعلمه الذي كان حريصاً على نشره وإذاعته.

(١) بقايا ذكريات، والذي تحدث فيه عن أطراف حياته إلى نهاية عمله مديراً لجامعة الأزهر في أواخر الستينيات بالقرن الماضي .

(٢) في عالم الروح.

(٣) خواطر وأحاديث.

(٤) عروبة ودين.

(٥) مع القرآن - حول جزء تبارك، وقد تجلت عناية الباقوري في هذا الكتاب بحسن العرض، وروعة الاستشهاد وبيان أسباب النزول للتعريف بها.

(٦) مع الصائمين.

(٧) قطوف من أدب النبوة (جزءان) وقد عرض فيه للعديد من الأحاديث النبوية، التي استخلص من خلال التعرض لها - الملامح البيانية والبلاغة النبوية في أحاديث الرسول ﷺ.

(٨) الأسرة في الإسلام.

(٩) على إمام الأئمة، وقد تعرض فيه لجوانب مهمة في حياة الإمام على رضي الله عنه، وتحدث عن صفاته وبلاغته وفصاحته، كما عرض لمحنة عثمان بن عفان، ولمسألة التحكيم، التي كثر الكلام فيها واختلف الكثيرون في الحكم عليها.

١٠) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، وسوف نعرض لهذا الكتاب دون غيره من مؤلفات الشيخ الباقوري للتعريف به.

فسائر كتبه مطبوعة ومتداولة بين الناس، أما الكتاب المذكور فهو قليل التداول مع أهمية تناوله للعلاقة الحميمة بين القرآن الكريم واللغة العربية إبان حياتها في الجاهلية، والإسلام، وقد تميز هذا الكتاب، فضلاً عما ذكرناه، لكثرة الموضوعات التي عرض لها هذا العالم الأزهري الكبير، وأحسن عرضها بالطريقة العلمية المنظمة، التي أعطت اللغة حقها خاصة في مجال مقارنتها باللغات المتواجدة معها قبل الإسلام وبعده، كما أشار الشيخ إلى تأثير القرآن في حياة العرب، إذ مكنهم من التعامل مع غيرهم من الأمم المجاورة لهم، أما فيما يتصل باللغة فقد تأثرت بطريقتين: قال عن الطريق الأول وهو الطريق المباشر ما يلي: "وهو ما في القرآن من جديد في اللفظ والمعنى والغرض، والأسلوب، فقد علمنا أن العرب حين سمعوا القرآن، سمعوا به شيئاً ملاًهم روعة وإعجاباً، فرجعوا إلى أنفسهم يلتمسون عندها ما يمكن لهم أن يسابقوه في ميدان عُرِفَ بهم ولهم، حتى لا يستأثر دونه بالقلوب تهتز له الأسماع وتتداعى إليه، ولكنهم وجدوا عندها العجز واضحاً والإخفاق فاضحاً" (١).

ثم تحدث في مقدمة الكتاب أيضاً عن الطريق الثاني فقال: «طريق غير مباشر، وذلك تمكينه للعرب أن يختلطوا بغيرهم من الأمم ذوات الحضارة الرائعة، ووضعه تحت أنظار العربية المدنية، الفارسية

(١) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري ص ١١، ص ١٢ دار المعارف بمصر ١٩٨٣ م.

والرومية والمصرية، ترى فيها ما لم تمكنها منه حياتها البدوية، فيكسبها ذلك غنى وثروة فيها لم تعرف إلى غنى وثروة فيما عُرِفَتْ، ولقد رأينا المملكة الإسلامية تتكون من أمم مختلفة في عاداتها وتجاربها ومناهج تفكيرها، وسائر مظاهر حياتها، والعرب قد امتزجوا بهذه الأمم بالتزواج والتسرى والاختلاط، فبعد أن كانت اللغة ملك العرب أصبحت ملك المسلمين جميعاً»^(١).

وقدم الشيخ الباقوري هذا الكتاب إلى الدكتور طه حسين، كي ينقده ويقوم ما فيه من آراء، وذكر الشيخ بيتين من الشعر كان عميد الأدب العربي يرددهما، وهما:

لَقَدْ زَادَنِي حُبّاً لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
"وَأِنِّي شَقِيٌّ بِاللَّئَامِ وَلَا تَتَرَى شَقِيّاً بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

ولقد ذكر الدكتور طه حسين في نقده لهذا الكتاب أن العرب الجاهليين قد انتشروا قبل الإسلام في العراق والجزيرة والشام، ومع أن أهل هذه البلاد كانوا محتفظين بلغتهم الخاصة، رغم وجود العرب في هذه الأقطار، ولكن ظهور الإسلام في هذه البلاد، جعلها تخضع لسلطاته، وأخذت لغاتها تتضاءل، وتخلفها اللغة العربية التي أصبحت لغة الناس عامة في هذه البلاد من القضايا والأفكار والآراء التي طرحها طه حسين في نقده لكتاب الباقوري، هذا العالم الأزهري الغيور على لغة دينه،

(١) السابق ص ١٣

الحريص على تجلية الحقيقة، وتأكيد بقاء القرآن الكريم معجزة خالدة على وجه الأرض.

إن الحديث عن أثر القرآن في اللغة ليس أمراً سهلاً يمكن استقصاؤه من الباقوري أو من غيره من العلماء القدماء والمحدثين، وذكر الشيخ رؤيته عن الأثر العام للقرآن الكريم في اللغة العربية وحدده تحديداً موجزاً مركزاً فقال: "تكاد تنحصر مظاهره هذا الأثر في أمور أربعة:

الأول: بقاء اللغة هذا الأمد الطويل.

الثاني: توحيد لهجاتها، وزوال ما كان فيها من تناكر.

الثالث: جعلها لغة رسمية في جميع الممالك التي دخلها الإسلام .

الرابع : جعلها لغة تعليمية، بعد أن كانت ملكة راسخة^(١).

وأن من أسباب قوة اللغة أن الناس يجدون فيها كل ما يحرصون عليه، وأكد أن بقاء العربية إلى اليوم، وإلى ما شاء الله راجع إلى الدفاع عن القرآن، وحدد الشيخ ذلك مبيناً سببه ومنبع القوة فيه، وذلك: «لكونه، أي القرآن الكريم، أصل الدين ومستقى العقيدة، سيستتبع الدفاع عنها؛ لأنها السبيل إلى فهمه، بل لأنها السبيل إلى الإيمان بأن الإسلام دين الله، وأن القرآن من عنده، لا من وضع النبي وأصحابه^(٢).

إن موضوعات هذا الكتاب يصعب تلخيصها أو اجتذاء بعض الفقرات التي لا تكشف عن تفصيلات الموضوع كشفاً مركزاً ومحددأ،

(١) السابق ص ٢٨.

(٢) السابق ص ٣.

خاصة أن صاحبه على علاقة جيدة باللغة العربية تاريخياً وأسلوباً وتأثيراً في غيرها من اللغات واللهجات، وأنها لغة الدين، والقرآن معجزته، وقد بقيت اللغة حية معبرة عن الأخلاق العربية القديمة، والمعاني الإسلامية المستحدثة.

ثامناً: كلمة أخيرة:

عاش الباقوري حياة قلقة ومضطربة عاصر فيها كثيراً من الحكام قبل الثورة المصرية عام ١٩٥٢م وبعدها، واستمر صوته مدوياً في رئاسة جمعية الشبان المسلمين العالمية، وفي عضوية مجمع اللغة العربية، والمجلس الأعلى للصحافة، والمجلس الأعلى لدعم البحوث العلمية، ومجلس الشورى، وبقي طوال حياته متحدثاً وكاتباً وخطيباً ورائداً ومجدداً في الأوقاف، وفي جامعة الأزهر وفي خارج مصر، وفي سائر ربوع الوطن وفي كل وسائل الإعلام المقروءة و المرئية، إلى أن انتقل إلى الدار الآخرة في مستشفى "ولنتجون" بلندن في ضحي عيد الأضحى المبارك عام ١٤٠٥هـ، الموافق للسادس والعشرين من أغسطس عام ١٩٨٥م، عن ستة وسبعين عاماً.

أهم المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

١- أثر القرآن الكريم في اللغة العربية - أحمد حسن الباقوري - طبع دار المعارف بمصر عام ١٩٨٣م.

٢- الأسرة في الإسلام، أحمد حسن الباقوري كتاب اليوم ١٩٨٣م.

٣- بقايا ذكريات - أحمد حسن الباقوري - طبع مركز الأهرام للترجمة والنشر عام ١٩٨٨م .

٤- شاهد على العصر - عمر بطيشة - طبع دار أخبار اليوم.

٥- قطوف من أدب النبوة (جزءان) طبع كتاب اليوم عام ١٩٨٣م.

٦- مع القرآن، حول جزء تبارك - مطبعة المدنى عام ١٩٧٩م.

ثانياً- الصحف:

١- الأخبار في ٤/٩/١٩٨٥م.

أ- مقالة لموسى صبري (بعنوان الباقوري).

ب- مقالة للدكتور: محمد عبد المنعم خفاجي بعنوان (أحمد حسن الباقوري أديباً).

ج- مقالة للدكتور/ زكريا البري بعنوان (أستاذي الباقوري).

٢- الأهرام في ٥/٣/١٩٩٤م :

أ- مقالة بعنوان مجالس العلماء وعطاؤهم في رمضان.

ب- الأهرام في ٢٨/٨/١٩٩٨م.

الباقوري نموذج الاستنارة والسماحة.

ج- الأهرام في ٨/٩/٢٠٠١م مقالة بعنوان : الشيخ الباقوري
كما عرفه القمص بولس باسيل.

دكتور / السيد محمد

الديب

أستاذ بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة

Sayed.addeeb@hotmail.com

ت منزل: ٢٢ ٢٣٦٢٠٥٥

ت عمل: ٤١١٤ ٢٣٠٥٥

فاكس: ١٨٤٤ ٢٣٠٥٥

محمول: ١٠ ١٢٨٧٧٣٣